السلطان بايزيد الأول

(الصاعقة)

فترة الحكم: ١٣٨٩– ١٤٠٢

السلطان العثماني الرابع

لقبه: "يِلْدِرِيمْ"، (أي الصاعقة؛ وذلك لطاقته وشجاعته في المعارك وسرعة حركاته في القتال)

اسم الأب: مراد الأول

اسم الأم: "كُولْ جيجَك" خاتون

محل وتاريخ الميلاد: أدرْنه (العاصمة آنذاك)، ١٣٥٤

سبب وتاريخ الوفاة: الكرب النفسي، ٨ مارس/آذار ١٤٠٣.

مكان الوفاة وموقع الضريح: آقْ شَهِيرْ، بُني ضريحه في بورصا

أبناؤه: موسى جَلَبِي، سليمان جلبي، ومصطفى جلبي، وعيسى جلبي، ومحمد جلبي، وأَرْطُغْرُلْ جلبي، وقاسم جلبي

بناته: هُنْدي خاتون، وأُورُوزْ خاتون، وفاطمة خاتون، وأَرْهُونْدُو خاتون

لوحة بفن المنمنمات تصوّر السلطان بايزيد الأول، بريشة الفنان ليفني في أعماله المعروفة باسم "صور متخيلة لشجرة العائلة العظمي".

السلطان بايزيد هو أول وآخر سلطان عثماني يلقب بلقب "يِلْدِرِيم" أو الصاعقة في التاريخ العثماني، وكان ذلك في سنوات إمارته وهو ولي العهد بسبب شجاعته التي أظهرها في معركة "فِرَنْكْ يَازِيسِي" ضد علاء الدين بك الكرماني في عام ١٣٨٦.

كان بايزيد سلطانا متميزا، ليس فقط لشجاعته الكبيرة وإقدامه ومهارته العالية في استخدام الأسلحة والفروسية، وإنما لأنه كان قائدا عسكريا ذكيا كفؤا يعرف كيف يناور ويرسل الجنود تحت إِمْرَتِه. وقد اكتسب بايزيد الكثير من الخبرة عندما كان وليا للعهد؛ حيث كان حاكما على الأراضي التي أعطاها "سليمان جلبي الجَرْمِيَانِي" للعثمانيين كمهر لابنته سلطان خاتون التي تزوجت بايزيد. وقد أثمرت خبرته ومهاراته الكبيرة في معركة كوسوفا الأولى؛ حيث لعب دورا رئيسيا في النصر العثماني.

لم يكن السبب الرئيسي وراء اختيار السلطان مراد الأول لابنه الأكبر بايزيد خليفة له على العرش ترتيبه بين إخوته وإنما مواهبه غير العادية. ولما علم بكوات الإمارات الأناضولية الغربية بنبأ اغتيال السلطان مراد الأول، قاموا بتمرد، ولهذا فقد قضى بايزيد شهور حكمه الأولى في صراع مع تلك الإمارات في غرب الأناضول.

وبايزيد هو أول سلطان عثماني يحاصر إسطنبول، غير أن المدينة لم تسقط رغم أنه حاول أربع مرات. وتحالف المجر مع البنادقة للقيام بحملة صليبية جديدة، وذلك بسبب رغبة كل من الفريقين في رفع الحصار عن إسطنبول، وكان ذلك في عام ١٣٩٦، وأيضا بسبب سخطهما المشترك من الفتوحات العثمانية في اليونان وبلغاريا وألبانيا. وما إن فرض الملك المجري سِيكِسْمُونْد حصاره على حصن نيغبولي حتى وصل يلدريم بايزيد إلى نِيغْبُولِي قريبا من إسطنبول ووجه ضربة قاصمة للصليبيين أمام حصن نِيغْبُولِي في ٢٥ سبتمبر/أيلول سنة ١٣٩٦.

بذل بايزيد جهدا كبيرا من أجل إرساء الوحدة السياسية في الأناضول، ونجح في غرب الأناضول بشكل خاص. وكان منخرطا في معارك مع دولة القاضي برهان الدين في الشرق. وعندما أقام الكَرمانيون تحالفا مع تلك الدولة، لم يستطع بايزيد أن يفعل شيئا سوى أن يرفع حصاره القائم عن قُونْيَة والتوصل لاتفاق مع الكرمانيين في نهاية الأمر. وأسفرت حملته عن الجَانْدَارِيين في الشمال عن حصول العثمانيين على الأراضي الكندرية كلها فيما عدا سينوب. ورغم أن العثمانيين خسروا المعارك ضد دولة القاضي برهان الدين وهو ما تسبب في اختلال توازن الوضع القائم في الشرق، فإن المرحلة التالية أسفرت عن إلحاق منطقة أماسيا داخل دولة

مقبرة ومسجد وكلية بايزيد الأول.

يعد جامع أولو (المسجد الكبير) في بورصا، وهو تحفة معمارية أنشأها السلطان بايزيد الأول، صرحا أثريا مهما، في مقابل المساجد ذات القبة الوحدة في أوائل العصر العثماني.

القاضي برهان الدين بالنطاق العثماني. وكذلك تحول الحكام المحليون إلى صف العثمانيين، مما رجح كفة الميزان لصالح السلطان بايزيد.

بعد ذلك صب السلطان جل اهتمامه نحو قتال الغرب. وضغط على بيزنطة بشكل أكبر، وجند المغيرين على الحدود للقيام بفتوح داخل البلقان. وخلال تلك الفترة بقي التهديد المجري والبندقي، لكن البلغار ظلوا خاضعين للعثمانيين. وتوجه يلدريم بايزيد، الذي تجرأ على إخضاع البلقان، بجيشه إلى اليونان التي سعت إلى التحالف مع البنادقة واستعاد سلانيك لتكون تحت سيطرة العثمانيين وذلك في عام ١٣٩٤. وبعد أن سحق الصليبيين في معركة نيغبولي على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب استولى بايزيد على مدينة فيدين من البلغار، ثم ركز مرة أخرى على حصار إسطنبول. ومع تزايد المطالب من السلطان بايزيد، اضطر الإمبراطور البيزنطي مانويل لقبول إقامة حي تركي وبناء مسجد وتعيين قاض مسلم في إسطنبول. وخلال العام التالي أُلحقت أثينا بالأراضي العثمانية، وحدثت مواجهة مع علاء الدين بك الكرماني في معركة "آقْ جايْ" التي هزم فيها، بعد أن كان قد لعب دور المأجور السياسي خلال معركة نيغبولي، ولم يعد يشكل خطرا على العثمانيين من الخلف مرة أخرى. وقد ضم العثمانيون في تلك المعركة مع الكرمانيين كذلك مدينتي قونية وكرمان.

استولى العثمانيون على مَالاَتْيَا (مَلَطْية) في الشرق من المماليك، وهو ما تسبب في تدهور العلاقات بين العثمانيين والمماليك. ورغم أن العثمانيين كانوا في أمسّ الحاجة للتحالف مع المماليك ضد التيموريين، فإن يِلْدِرِيم بايزيد أصبح معاديا للمماليك، وهو القرار الذي فسره المؤرخون بأنه خطأ كبير من جانب بايزيد. توجه تِيمُورْلَنْكْ، الذي عرف

قلعة الأناضول، أول بناء عثماني أنشأه السلطان بايزيد الأول على الساحل الأناضولي لمدينة إسطنبول لفتح المدينة.

أيضا باسم تِيمُورْ الأعرج (١٣٧٠-١٤٠٥) بجيشه إلى شرق الأناضول في أواخر عام ١٣٩٩ بهدف الاستيلاء على الأراضي الغربية. والواقع أن تِيمُورْلَنْكْ، الذي اعتبر نفسه وريث السلاجقة والإلخانيين، أراد احتلال الأناضول بكامله، لكنه تردد في محاربة بايزيد، الذي كان في حالة حرب مستمرة في سبيل الله. وقد اضطربت العلاقات الجيدة بين هذين الحاكمين التركيين المسلمين عندما لجأ بعض الوجهاء الذين تحدوا يلدريم بايزيد إلى تِيمورْلَنك، في حين طلب آخرون من معارضي تيمورلنك حماية بايزيد. وتسبب قيام تِيمورْلَنك بغزو سِيوَاسْ ونهبها، ثم تبادل الخطابات العنيفة بين الحاكمين، في نشوب النزاع بين الدولتين في نهاية الأمر في سهوب جُبُوقْ بأنقرة في ٢٨ يوليو/تموز عام ١٤٠٢. وفقد السلطان بايزيد في معركة أنقرة جيشه ووحدته السياسية التي عمل جاهدا لإقامتها في الأناضول، فضلا عن لقبه. وبعد سبعة أشهر فقط توفي بايزيد في ٨ مايو/أيار عام ١٤٠٣ وهو أسير في "آقْ شَهِير" بسبب معاناته من كرب نفسي عنيف نتيجة حزنه ويأسه.

وقد تسببت معركة أنقرة في دفع الدولة العثمانية إلى حافة الانهيار. واعترف وجهاء الأناضول، الذين استعادوا أراضيهم القديمة، وأولياء العهد، الذين شرعوا في تحدي بعضهم البعض من أجل الأراضي الباقية، اعترفوا جميعا بسيطرة تيمورلنك. وقد انتهت هذه الحقبة التي تعرف بـ"عهد الفترة" (عهد خلو العرش العثماني) باعتلاء السلطان محمد الأول العرش، الذي سيتم في عهده استعادة الوحدة السياسية الأناضولية كما كانت في عهد يلدريم بايزيد مرة أخرى. لقد أراد يلدريم بايزيد السيطرة على الإمارات الأناضولية وعائلات البلقان الحاكمة، كما أراد أن يجعل الدولة العثمانية تستند بكاملها إلى المبادئ الإسلامية. وخلال سعيه لتحقيق هذا يبدو أنه نجح في أن يحوّل الدولةَ العثمانية إلى مركز رئيسي في الدبلوماسية الدولية في المنطقة التي تمتزج فيها أراضي العالم القديم. غير أن هذه الدولة المركزية خنقت تقريبا على أيدي تِيمُورْلَنْك وتراجعت لتصل إلى الحدود المرسومة في الأناضول في عهد مراد الأول. ورغم كل هذا لم تنفصل الروملي عن المركز العثماني، وهو ما ساعد في تخفيف عهد الفترة وجعل

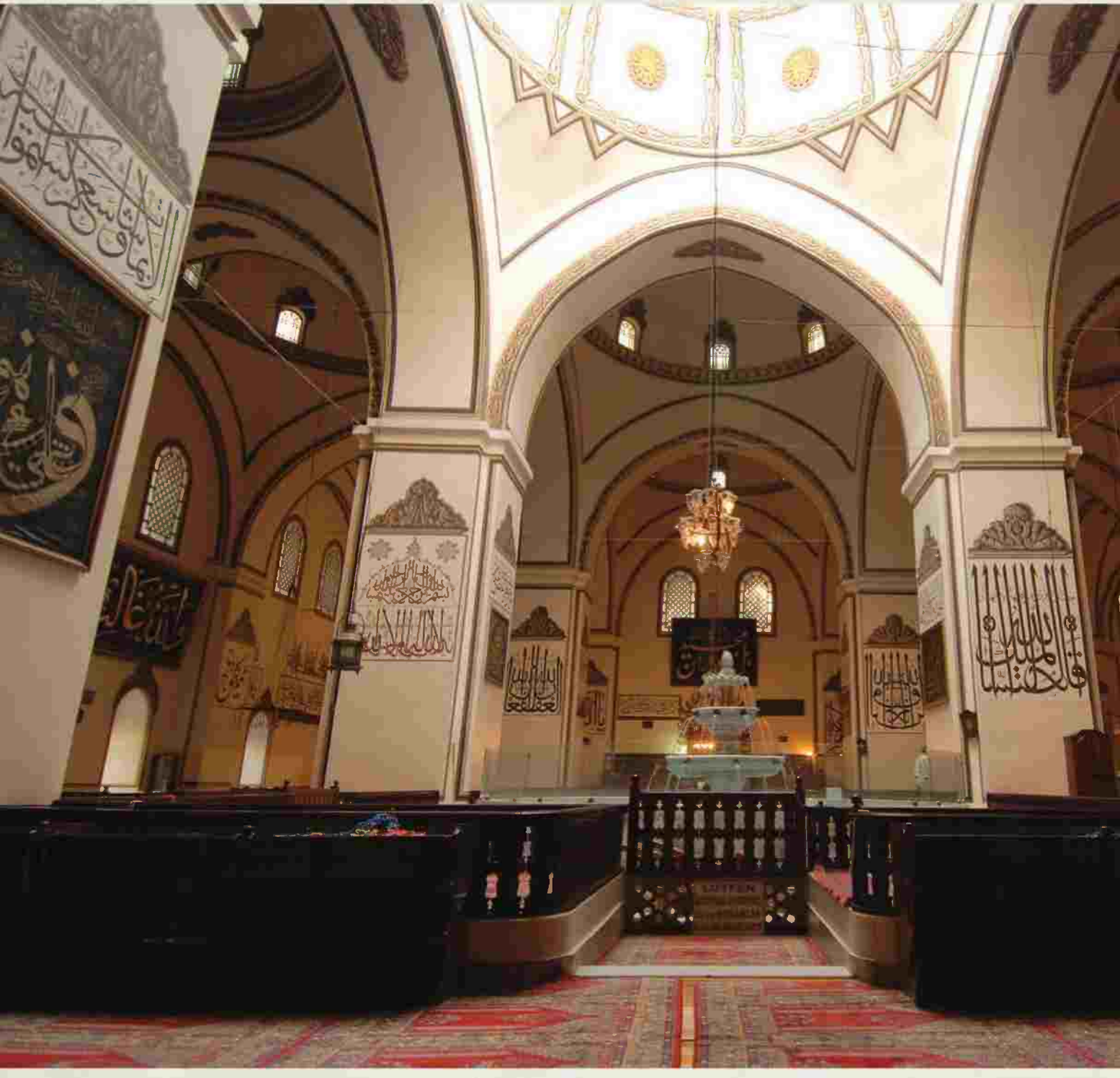

مسجد أولو (الكبير) بمدينة بُورْصَا، تحفة هندسية للسلطان بايزيد الأول، يضم أعمالا رائعة من فن الخط في الداخل.

صورة قديمة لدراويش المولوية في دمشق يزورون قافلة مواكب الصرة في طريقها من إسطنبول إلى الحرمين الشريفين.

مقبرة السلطان بايزيد الأول منذ نحو قرن (تصوير عبد الله برادَرْلَرْ).

النهضة العثمانية ممكنة.

قضى السلطان بايزيد معظم حياته في ساحات المعارك والقتال. كان قائدا عسكريا فائق الشجاعة والنشاط والنجاح، وحاكما تقيا. وكان يمتلك شخصية جريئة، فلم يكن يتردد عن إيقاع العقاب الشديد بمن يتلقون الرشاوى ويرتكبون المظالم.

كان بايزيد طويل القامة، فاتح البشرة، أحدب الأنف، كثيف الشارب. وكان ذقنه المستدير تحيط به لحية أفتح لونا من شاربه، وكان جهوري الصوت. وكان يقال عن حاجبيه

المعقودين وعينيه السوداوين الواسعتين إنها أسلحته القوية بما يكفي لإلقاء الرعب في قلوب أعدائه بمجرد النظر.

دخل أربعة من أبنائه الستة، هم سليمان جَلَبي وعيسى جلبي وموسى جلبي ومحمد جلبي، في تنافس على العرش خلال عهد الفترة، بينما ظهر مصطفى جلبي، الذي لقب بـ"مصطفى المزور"، في عهد مراد الثاني مطالبا بالعرش.

أنشأ بايزيد خلال فترة حكمه العديد من ملاجئ الدراويش والمدارس وملاجئ المحتاجين ونزل المسافرين والنزل الطبية، بالإضافة إلى "أُولُو جَامِي" (الجامع الكبير) في بورصا عام ١٤٠٠، الذي يعد معرضا مهيبا لفن خط اليد العثماني المتميز.[١٠] وما زالت مجموعة واسعة من تلك الأبنية الخيرية باقية في أغلب المدن في جميع أنحاء الأناضول والروملي. ويعد الحصن الأناضولي، المعروف أيضا باسم جوزيل حصار، أحد الآثار التي تركها، وقد استخدم هذا الحصن بشكل خاص خلال حصار إسطنبول في الفترة بين عامي ١٣٩٦ و١٣٩٧.

بدأ يلدريم بايزيد التقليد اللاحق الخاص بالموكب السنوي الذي كان يعرف باسم "صُرَّه آلايي" (موكب الصرة) لتلبية احتياجات الحرمين الشريفين، ودفع رواتب الموظفين العاملين هناك. وقد أرسل بايزيد الموكب الأول من أدِرْنه في عام ١٣٨٩. واستمرت المواكب التي تصطحب قوافل الهدايا السلطانية تتوجه إلى الحرمين الشريفين حتى عهد محمد السادس وحيد الدين، آخر السلاطين العثمانيين، كعلامة على تمسك العثمانيين بالتراث النبوي.

---

(١٠) كان فن الخط الإسلامي العربي الأنيق يستخدم في الأصل لتزيين النصوص الدينية وبخاصة مخطوطات القرآن. وبما أن التزيين بالصور محرم في الإسلام، وبما أن فن خط اليد القرآني قد لعب دورا مهما في تطور هذا الفن الإسلامي، فإن ثمة إحساسا بالقدسية ظل دائما موجودا في خلفية فن الخط العربي.

وفن الخط العربي –الذي كان موضع حب واحترام من السلاطين العثمانيين– هو أكثر من مجرد خط جميل، فالغرض منه جمالي ووظيفي أيضا. فهو يأخذ العين والقلب وهو ينقل المعنى. وقد ازدهر فن الخط العربي بشكل خاص في إسطنبول بعد فتحها عام ١٤٥٣، حيث أصبحت العاصمة العثمانية الجديدة التي أُتيح فيها أجمل وأنضج الأعمال الفنية. وقد أعطى السلاطين العثمانيون، الذين تميز بعضهم في هذا المجال، دعمَهم الكامل للخطاطين. وخلال العصور العثمانية استمرت عملية نسخ مخطوطات القرآن بصفتها المَصدرَ الأكثر شيوعا لفن الخط العربي. ولاحقا كتبت الآيات القرآنية مع أشكال هندسية تكرارية رائعة، وشكلت بالقرميد أو حفرت على الحجر أو الخشب على الحوائط والأبواب والأسقف داخل وخارج المساجد في جميع أنحاء الدولة، وفي المقام الأول في المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة، بالإضافة إلى القصور والبيوت العثمانية الكبيرة والمباني الملحقة بها.

وبالإضافة إلى النقوش المعمارية، كُتبت تصميمات "الطُغْراء" الرائعة (التصميمات الخطية السلطانية أو التوقيعات الأسلوبية) الخاصة بالسلاطين العثمانيين في شكل مخطوط فني أنيق ومعبر. ويعود أقدم طغراء إلى السلطان العثماني الثاني أورخان غازي، وكان لكل سلطان عثماني بعده الطغراء الخاص به. وكان يتم تصميم الطغراء في بداية كل فترة حكم عثماني جديدة، ثم يقوم خطاطو البلاط الملكي برسمه على الوثائق المكتوبة. وكانت الطغراء تستخدم في الأساس في الوثائق الرسمية والمراسلات لإضفاء الصفة الرسمية عليها، وقد شوهدت لاحقا في الأختام العثمانية والرايات والنصب التذكارية والمساجد والقصور والعملات والطوابع وجوازات السفر كرمز للسيادة.

وقد عرضت في هذا الكتاب الطغراء الخمس وثلاثون لكل السلاطين العثمانيين بدءا من أورْخان غازي إلى السلطان العثماني الأخير محمد وحيد الدين إلى جانب اسم كل سلطان. ومن اللافت للنظر أن الأسلوب الفني لكتابة اسمي السلطان [أورخان] وأبيه في تعبير "أورخان ابن عثمان" قد كتب في الجزء السفلي من الطغراء، حيث شكل ذلك الهيكل والنص الأصلي لتصميمات الطغراء التالية التي تطورت لاحقا لتضم تعبير "المظفر دائما" والألقاب التشريفية للسلطان. ويمكن أن يرى القارئ في هذا الكتاب كيف حدث التطور البطيء للطغراء بدءا من عصر أورخان غازي وحتى العصور اللاحقة. وقد وضعت معايير التصميم الخطي للطغراء في عهد محمد الفاتح، السلطان العثماني السابع، ووصل إلى شكله الكلاسيكي المغالي خلال عهد السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر. وبدءا من عصر السلطان محمد الفاتح تمت إضافة المسافات بين الأحرف، واستمر هذا حتى منتصف القرن التاسع عشر. كما لم يكن اختيار الألوان اعتباطيا، وإنما كان لكل لون معنى في البروتوكول العثماني.

A C K S E A
Sinop
Amasra
Kastamonu
Samsun
Giresun
Trabzon
EMPIRE OF TREBIZOND
Tokat
Yozgat
Erzurum
Ankara
Erzincan
Sivas
A T O L I A
Kemah
Kayseri
Harput
Dulkadirids
Maraş
Konya
Ramazanids
Adana
TIMURID STATE
Silifke
Antakya
Rakka
Aleppo
E A N S E A
MAMLUK STATE

Moldavian Principality
Wallachian Principality
Bucharest
Dobrogea
Silistra
Sarajevo
Serbian Despotate
Nikopol
Varna
Mostar
Niš
Sofia
Plovdiv
RUMELIA
Skopje
Edirne
Constantinople
Kavala
İzmit
Enez
MARMARA SEA
Ohrid
Salonica
Vlora
Çanakkale
Bursa
Otranto
Balıkesir
Trikala
Ioannina
AEGEAN SEA
Kütahya
Manisa
İzmir
Naupactus
Athens
Alaşehir
Aydın
N
W
E
S
Boundaries of the Ottoman State up to 1402
Territory of the Ottoman Beylik (1299–1324)
Territorial expansion under Orhan Bey (1324–1362)
Territorial expansion under Sultan Murad I (1362–1389)
Territorial expansion under Sultan Bayezid I (1389–1402)